



● معركة الأزهر مع المتطرفين تبدو معركة شكلية لا أكثر. فلو كان جادا في المواجهة لبدأ بتقنية المناهج الأزهرية من الدروس التي تحض على التشدد الفكري والديني.



● قناعات عباد تميل إلى التشدد، لاسيما حين ينظر إلى أصحاب العقائد الأخرى، فهو ما زال يطلق على المسيحيين لقب نصارى، وهو الذي أصدر كتابا في عام 2016، سماه "مشكلات العقيدة النصرانية - عقيدة التثليث عند النصارى".

أزهري مصري يقدس التراث مكلف بفضح المتطرفين

نظير عباد

رئيس مرصد مكافحة التشدد يتحايل على تجديد الخطاب الديني



أحمد حافظ
كاتب مصري

يمكن أن يفسر استدعاء نظير عباد رئيس مجمع البحوث الإسلامية لقيادة مرصد الأزهر العالمي لمكافحة التطرف والفنوى الإلكترونية، أخيرا، أسباب استمرار الأفكار المتشددة في المجتمع وإخفاق المؤسسة الدينية في اختراق حجج وأسناد التيارات التي تتخذ من الدين مبررا لأفعالها الشاذة. مضت خمس سنوات على إنشاء المرصد، وما زالت نفس الأفكار حاضرة، التي تستند على أدلة وبراهين يتم استقطابها من نصوص دينية وتراثية لاستقطاب الشباب وضعاف النفوس وأعداء الإنسانية، رغم تعدد المناير الدينية الرسمية المكلفة بالتصدي للمتحرفين فكريا وتصحيح المعتقدات التي يروجونها.

تظل معضلة عباد، أنه من أشد المعارضين لدعوات هدم التراث وتشعر أنه يعتبره أحد أركان الإسلام، في حين أن أغلب التبريرات التي يستند عليها المتطرفون تأتي مرجعيتها من نصوص دينية لم تعد صالحة للواقع المعاصر، بالتالي فالواجهة مع هؤلاء بانفكار تجاوزها الزمن خاسرة.

كيف يفكر المتطرفون

يفترض أن مرصد الأزهر هدفه معرفة كيف يفكر المتطرفون، والألية المستخدمة لاستقطاب الشباب، ووضع طرق المواجهة، والرد عليها بـ 12 لغة، ومعرفة نقاط الضعف التي تجلج إليها التيارات المتشددة لاستغلالها واستغلال فئات للانضمام إليها من أجل تنفيذها وضرب أساساتها.

يصعب فصل اختيار عباد في هذا المنصب الحيوي دون ربطه بتماهي شخصيته مع أفكار أحمد الطيب شيخ الأزهر، فالأخير يتعرض لانتقادات متكررة لإصراره على تقديس التراث، والأول لديه قناعات شبيهة وتوجهاته لمكافحة التطرف لا تخرج من الحديث عن استقلال المؤسسة.



معضلة عباد تعود إلى كونه أساسا من أشد المعارضين لدعوات هدم التراث وتشعر أنه يعتبره أحد أركان الإسلام، في حين أن أغلب التبريرات التي يستند عليها المتطرفون تأتي مرجعيتها من نصوص دينية لم تعد صالحة للواقع المعاصر

يفسر ذلك، سرعة تدرجه بالمناسبات داخل الأزهر، فقد حصل على درجة الليسانس من كلية أصول الدين عام 1995، وعن معيدا بالكلية في العام التالي،

وحصل على الماجستير والدكتوراه في العقيدة والفلسفة، ونال درجة الاستاذية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، ثم عمل وكيل لها، قبل أن يتم اختياره أميناً لمجمع البحوث الإسلامية منذ عام، ورئيساً لتحرير مجلة "صوت الأزهر" في أبريل الماضي.

سار عباد على نهج الأزهر في مكافحة التطرف ظاهريا، وهذه مشكلة معقدة تنذر ببقاء قوى التشدد حاضرة بقوة، لأن المؤسسة متهمه بمحاربة تيارات العنف بسطحية، فتراها تصف أنصار هذه التيارات بأبشع العبارات، لكن تقدم إليهم خدمة مجانية بتحسين التراث من الانتقادات.

يكفي التدقيق في شخصيته، والتركيز بين سطور كلامه الهادئ الرصين، للاقتناع بأن معركته مع المتطرفين لن تخرج عن دائرة المواجهة الإعلامية، ولو كان يقوم بنقد حججهم وتفنيد أسانيدهم لبدأ بأساسيات الفكر والحجة، ولم يكتف باتهامهم باجترار النصوص فقط.

لا يقتنع رئيس مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، بأنه مهما بلغت درجة الاجترار هناك نصوص تراثية كاملة كفيلا بصناعة متشددين دون الحاجة إلى الاقتطاع منها حسب الحاجة والظرف، لتبرير الأفعال والتوجهات التي تعتمد على التكفير وسفك الدماء والانتقام من المختلفين.

عندما تصاعدت وتيرة الهجوم على شيخ الأزهر لتمسكه بالتراث، ارتدى نظير عباد عباة الأزهري الذي يتولى مهمة تجميل الصورة، بقوله "لا مانع من تقديم التراث بصورة جديدة تحافظ على نوابه"، كان الأزمة في الشكل وليست في المضمون.

يمكن البناء على هذه القناعات بأن معركة الأزهر مع المتطرفين تبدو شكلية أيضا، ولو كان جادا في المواجهة لبدأ بتقنية المناهج الأزهرية من الدروس التي تحض على التشدد الفكري والديني، وهي معضلة أخرى أمام عباد في سبيل تحقيق تقدم ملموس في ملف محاربة التطرف، إذ يمكن أن يخرج من مؤسسات التعليم الأزهرية حاملون لنفس الفكر.

معركة خاسرة

يعترف أكثر المتابعين لتحركات الرجل على الساحة الدينية، بأنه يكن الدعاء للتيارات الإرهابية، وفي محطات عديدة برأ الدين من أقوالها وأفعالها، لكن لم يتحدث مرة واحدة عن خروج أنصار هذه التيارات عن الملة، كرسالة ترويب لمن يفكرون في الانضمام إليهم أو التعاطف معهم، أي أنه لم يستثمر أهمية رأي الأزهر في الإقضاء بنبرة حادة لتخويف المعجبين بالإرهابيين.

إن كانت لعياد أسانيد صحيحة في فضح الفكر المتطرف، فأصحاب هذا التوجه لديهم أيضا تبريرات دينية، ما يعني أن الانتفاء بالمواجهة مع هؤلاء بالتلاسن والعبارة المطاطة واللغة الجاسدة لن يفرضي إلى شيء، لأنهم يتحدثون إلى العامة بلغة بسيطة تلامس ثقافتهم، في حين أن مرصد الأزهر ما زال يتبع نفس القوالب الدينية الصلبة التي لا يفهمها عموم الناس.

لا تزال التقارير التي تصدر عن مرصد الأزهر خالية من التطرق إلى أسباب التطرف ذاتها، والأزمة الأكبر أنه في أحيان كثيرة تكون مواقفه عبارة عن رد فعل، فتراها مثلا يعلق على حادثة إرهابية في الصومال، ولا يبادر مسبقا بفضح الأفكار التي يبني عليها الإرهابيون تصرفاتهم، والأطراف الداعمة لهم، وأهدافهم البعيدة عن الدين لتحقيق مارب سياسية باسمه.

محاباة السلفيين

يؤخذ على عباد أنه تفرغ لمحاربة التطرف الفكري والديني خارج الحدود، وغض الطرف عن المتشددين في مصر، فلم يدخل معركة مع التيار السلفي الذي يتبنى خطابا متطرفا وتحريضا، ويصدر فتاوى تتناغم إلى حد بعيد مع العناصر التكفيرية، التي درجة أن بعضها يبرر الأفعال الإقصائية تجاه المختلفين مع العقيدة الإسلامية.

يلتمس البعض العذر لعياد في تلك النقطة، بأن الأزهر معروف عنه أنه يضم الكثير من رجال الدين أصحاب التوجه السلفي، بالتالي من الصعب أن يقحم الرجل نفسه في معركة يتم توظيفها لتشويه صورة المؤسسة الدينية، ويعطي معارضيهما السلاح الذي يواجهونها به، أو على الأقل يتكالب عليه علماء السلفية للتحلل منه.

إذا كان هذا العذر منطوقيا، فهو يتناقض مع مصداقية مرصد الأزهر في محاربة التطرف عموما، أيًا كانت الجهة أو الأشخاص، في الداخل أو في الخارج، لأن غض الطرف عن الدخول في مواجهة مع فئة من المتشددين، لتضارب المصالح أو تجنب معركة خاسرة، يرفع سقف الاتهامات الموجهة للأزهر، وأنه أسس المرصد لجرد إبعاد شبهة التشدد عن نفسه.

عندما يرد البعض من قادة ورومز الأزهر على المعارضين، يستندون إلى وجود مرصد محاربة التطرف، لإثبات أن المؤسسة بريئة من هذه التهمة، ما يثير التسكوك في أن وجوده على الساحة محاولة لتبييض وجه الأزهر، بزريعة أن الجهة المتهمه بتصدير التشدد للعالم لا يمكن أن تؤسس منبرا لمحاربه وفضح أفكار وأسانيد أصحابه.

تبدو قناعات عباد تميل إلى التشدد، لاسيما عند النظر إلى أصحاب العقائد الأخرى، فتراها يطلق على المسيحيين لقب نصارى، وهو الذي أصدر كتابا في عام 2016 عندما كان أستاذا بكلية الدراسات الإسلامية في جامعة كفر الشيخ، شمال شرق القاهرة، وسماه "مشكلات العقيدة النصرانية.. عقيدة التثليث عند النصارى".

لا يحتاج الأمر إلى كثير عناء عند الاطلاع على مؤلفات عباد،

تناقضات فكرية، بين ظاهرية التسامح مع أصحاب العقائد الأخرى، قبل أن يصل إلى منصب مرموق داخل الأزهر، وبين محاولة الظهور في ثوب المعتدل الذي يحارب التطرف بعد اعتلاء مجمع البحوث الإسلامية، وتؤسس مرصد الأزهر.

ذكر في كتابه "عقيدة التثليث عند النصارى"، أن الله عندما تحدث عن هذه العقيدة في القرآن الكريم، حكم بكفرهم، وبعد استشهاده عباد بأكثر من نص وموضع، ذكر في الكتاب أن هذه العقيدة باطلة، وأصحابها يستشهدون بنصوص غير صحيحة، وعلى فرض صحتها فهي من واقع فكرهم المنحرف.

ما لفت الانتباه، أن عباد الذي يدافع عن قداسة التراث، هو نفسه الذي رفض قدسية العقيدة الثالوثية عند المسيحيين، باعتبارهم يستخدمون هذا الأسلوب المقدس لتقوية عقيدتهم وجعلها مقبولة، ويقطعون كل الطرق للتعلم عليها.

إذا كان عباد لم يعد يستخدم هذه التوصيفات بعد اعتلاء المناصب الأزهرية الهامة، فإنه يكفي أن لديه قناعات تشير إلى أن هناك أصحاب عقيدة، أي عقيدة، يجوز وصفهم بالكفار، ويعتقون فترا منحرفا وباطلا، ما يمكن البناء عليه أنه يصعب التنبؤ بخوضه معارك ضارية

العداء مع التنوير

يرى معارضون للرجل، أن طروحاته عن التجديد تتناقض مع التجديد نفسه، لأنه يعتنق نهجا إقصائيا لكل من يقرب من الملف الديني بخلاف الأزهر، الذي يجب أن تكون رايته هي الأعلى في تكريس واضح لمفهوم القداسة، وتقديمه على أنه الوسيط

الوحيد بين العبد وربّه. يرفض نظير عباد الاقتناع بأنه مكلف بمهمة مواجهة التشدد، والحد من التطرف الفكري، ولا يمكن التمسك

باحترار الأزهر للتجديد باعتباره مستقيل أمة. كما أن قبوله للأخر بارائه وقناعاته دون إقصاء طالما استهدفت التسامح والوسطية، من صميم التجديد.

صحيح أنه من النادر خروج قيادة أزهرية لتغرد خارج السرب، لكن منصب عباد يحتم عليه أن يتبنى خطابا

يعكس تخلي رجل الدين، مثل نظير عباد، عن قناعاته تجاه القضايا المعاصرة على مرونته في الخطاب، إلى درجة أنه يتحدث بطريقة توحى للمتلقي بأن رايه تابع من سلطة دينية، في حين أن الإسلام تأسس على الوسطية، وأن يكون الدين تكليف لله للفرء، لا تكليف من المؤسسة الدينية.

وقد تحدث سابقا، بنفسه، عن أن العلاقة بين رجال الدين والمثقفين توافقية وتكاملية حول روح التجديد تماشيا مع متطلبات العصر، لكن يبدو أن هذا الحديث لا يتفق مع أفكاره الحقيقية، بدليل أنه يرى "التجديد مهمة ينبغي ألا يتصدى لها سوى أهل التخصص"، وهي ذات اللغة التي يتحدث بها شيخه أحمد الطيب، ما يعني أن التوافق والتكامل موجودان داخل الأزهر، وليس مسموحا للأخريين بالانضمام إلى هذه الدائرة.

مع المتطرفين الذين ينظرون لنفس العقيدة، على الأقل، بطريقة دونية أو ترصص.

تظل أبرز مشكلات عباد أنه من الشخصيات التي تقدس الأزهر، ويعتبره المسؤول الأول عن الرد باسم الإسلام، ما انعكس على قناعاته في طريقة الرد على دعوات تجديد الخطاب الديني، ومن هي الأطراف التي يفترض أن تقوم بهذه المهمة، هل رجال الدين أم الباحثون في شؤون العقيدة الدينية والتنويريون أم كل هؤلاء معا؟

يمكن اختصار أزمة الرجل مع التجديد في نظره إلى العلمانيين والتنويريين، إذ لا يقتنع بأي دور لهم في هذه القضية ولو في مجال الاجتهاد بالرأي وعرض وجهات النظر حتى لو كان يصعب تطبيقها، ويرى أن الأزهر وحده المفترض أن يقوم بهذه المهمة، وتجديد الخطاب الديني لن يتم إلا بتكاتف المؤسسات والهيئات الدينية تحت راية الأزهر.

مستقلا يمنح التوازن للمؤسسة الدينية، بين ما هو مرفوض من قمة الهرم وما هو مقبول من بعض دوائر صناعة القرار في الداخل، لأن إظهار هذا الاختلاف في وجهات النظر من شأنه أن يمنح المصادقية للأزهر في قبول الرأي الآخر، بعيدا عن تكريس الكهنوت، وتقوية شوكة مرصد مكافحة التطرف في مواجهة المتشددين.

يصعب فصل التماهي غير المحدود بين شخصية عباد وأحمد الطيب، عن الجذور التي تربط الاثنين بالانتماء إلى المدرسة السنية الأشعرية، التي أسسها أبو الحسن الأشعري، وينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري، ويتحرك الانتماء وفق اتجاه له أصول جامدة في صياغتها وأفكارها، حيث تعتمد على أحاديث الأحاد التي ترفض أن تتوسط بين النقااض.

المدرسة التي ينتمي إليها عباد تعاني من كونها أصولية جدا، وهو ما يؤثر على أفكار رجالها في ما يخص القضايا المعاصرة والتفكير النقدي العقلاني، ويقول معارضوها إنها لا تفرق بين التراث البشري الذي نتج عن الاجتهاد، والتراث الديني الثابت الذي لا يقبل التغيير باعتباره من البديهيات، مثل الصلوات وغيرها.

يعكس تخلي رجل الدين، مثل نظير عباد، عن قناعاته تجاه القضايا المعاصرة على مرونته في الخطاب، إلى درجة أنه يتحدث بطريقة توحى للمتلقي بأن رايه تابع من سلطة دينية، في حين أن الإسلام تأسس على الوسطية، وأن يكون الدين تكليف لله للفرء، لا تكليف من المؤسسة الدينية.

وقد تحدث سابقا، بنفسه، عن أن العلاقة بين رجال الدين والمثقفين توافقية وتكاملية حول روح التجديد تماشيا مع متطلبات العصر، لكن يبدو أن هذا الحديث لا يتفق مع أفكاره الحقيقية، بدليل أنه يرى "التجديد مهمة ينبغي ألا يتصدى لها سوى أهل التخصص"، وهي ذات اللغة التي يتحدث بها شيخه أحمد الطيب، ما يعني أن التوافق والتكامل موجودان داخل الأزهر، وليس مسموحا للأخريين بالانضمام إلى هذه الدائرة.

